

التربية الدينية الإسلامية

يجب أن تأخذ مكانها

في مراحل التعليم

للدكتور محمد خلف الله أستاذ

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

مصر أمة يدين غالبية أهلها بالإسلام وتحمل القيم مكاناً أصيلاً في ثقافتها وأدبها وتفكيرها ونظم حياتها ، ولهذا كان من الطبيعي — والضروري — أن يأخذ التعليم الديني الإسلامي مكانه الأصيل في مراحل التعليم فيها لينمو مع الطفل عاطفته الدينية ، وليشكل تفكيره الأخلاقي وسلوكه في الحياة حسب توجيه الدين وتعاليمه ، ومادامت التربية الدينية عند الطفل جزءاً من تربيته العامة فمن الواجب أن تتكيف أهدافها ووسائلها حسب مراحل نمو الطفل وتطور ذهنه ووجدانه ويجب أن تخضع له سائر نظم التربية من بحث وتجريب وتعديل وإفادة ، بما يهيئه تقدم العلم من وسائل وأساليب .

أما أهداف التربية الدينية وأوضاعها بوجه عام فقد بحثها علماء التربية فيما بحثوا وتتبعوا تطورها عند الأمم المختلفة حسب التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي لكل منها وحسب اتجاهات الدين الغالب فيها ، فهي عند الأمم الكاثوليكية غيرها عند الأمم البروتستانتية : وهي في أمريكا غيرها في أوروبا وهكذا .

وإذا أردنا أن نحدد الأهداف التي يجب أن تتجه إليها التربية الدينية لأطفالنا وجب أن نذكر في مقدمتها تنمية العاطفة الدينية في نفوسهم منذ صغرهم ، وتقوية إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وحماية عقائدهم من الزيغ والفتن وهذه العاطفة إذا نمت قوية سليمة كان لها أثرها في سائر عواطفهم التي يتألف منها نظام شخصياتهم كعاطفة حب الوطن ، وعاطفة حب الفضيلة وغيرهما .

والهدف الثاني الذي يجب أن نوجه إليه جهودنا هو تحييد الفضائل ، وبناء نظام ساكن من الأخلاق الإسلامية في نفوسهم وتلقينهم إلى مصادر تلك الأخلاق في القرآن

والحديث وسيرة الرسول وإلى آثارها في حياتهم الفردية والاجتماعية وفي حياة وطنهم وأمتهم ومحاولة توجيه سلوكهم في شتى النواحي على الأسس التي وضعها الإسلام .

ومن الضروري في صلهم بالدين وإثارة روح الاعتزاز به عندهم أن نعرفهم نشأة الإسلام وسيرة رسوله وجهاده في سبيل دعوته ومقامه به خلفاء الإسلام وعلماؤه وأبطاله من معالي الأمور ، وما كان للمسلمين من أثر في الحضارة العالمية .

والهدف الرابع من أهداف التربية الدينية ربط الدين بالحياة في نفوس التلاميذ وتبصيرهم بأسرار التشريع الإسلامي . وبموقف الإسلام من معضلات الحياة الحديثة وإشعارهم بجمال هذا الدين وصدق تعاليمه ، وما امتاز به بين الأديان من شمول وسعة أفق .

هذه الأهداف متشابكة مترابطة يتخدم بعضها بعضا ولكنها تحتاج إلى نظام من التدرج يساير نمو الطفل واتساع مداركه ، فالطفل في المراحل الأولى من حياته التعليمية — من السادسة إلى الثانية عشرة — سريع التأثر واسع الخيال ، قابل للتلقين ، مستعد لتقليد من هم أكبر منه ، سهل التشكيل في عوائده وألوان سلوكه . وقد تذبذبت دراسات التربية وعلم النفس إلى الوسائل التي تعين على جذب انتباهه في هذه المرحلة وإثارة وجدانه وإيصال المعلومات إليه كالتقصص والحكايات والتمثيل والأناشيد والصور والأفلام ، وكالممارسة العملية للنواحي التي يراد توجيهه إليها وكتلقينه نصوصاً يحفظها ويرددها ، ويمكن ترجمة كل هذا في منهج للتربية الدينية في تلك المرحلة يكون من عناصره المطالعة التفصيصية في سيرة الرسول وسير الأنبياء والخلفاء الراشدين وأبطال الإسلام وقواده ويكون منها شيء من الأناشيد والأغاني الدينية التي تهز مشاعر الأطفال وتغذي وجدانهم ، ثم يكون منها حكايات تتضمن مكارم الأخلاق الإسلامية مصورة تصويراً طبيعياً غير متكلف ، هذا إلى بعض دروس عملية كالمسائل . أو تصويرية كعرض مناسك الحج في أفلام جذابة أو تمثيلية يقوم التلاميذ بأدائها ويعرضون فيها بعض المواقف والشخصيات الإسلامية ، وما تتطلبه التربية وتقره ، تلقين الأطفال نصوصاً من القرآن والحديث ، مما يكون فيه تمجيد لله أو تنبيه إلى آثار عظمتهم وقدرته أو ترغيب في طاعته وتحذير من معصيته أو إبراز لموعظة من أحوال الأمم السابقة وموقفها من أنبيائها أو توجيهه إلى الفضائل القريبة من نفوس الأطفال كالرفق والصدق وحب الأدب ومساعدة الآخرين والعطف على المحرومين والباستين .

و ليس من الصالح هنا تكليف التلاميذ من الحفظ فوق ما يطيقون ، بل ينبغي أن يتبسط المدرس معهم في شرح ما يقرءون من القرآن و تقريره إلى نفوسهم و توضيحه بمختلف الوسائل و تشجيعهم على حفظ بعضه حسب طاقتهم و رغبتهم .

فإذا ما انتقلنا من هذه المرحلة إلى المرحلة التالية من الثانية عشرة إلى نهاية التعليم الثانوى وجدنا الطفل قد أخذت مداركه نقوى ، و تفكيره يتسع ، و وجدناه كثير السؤل و المناقشة ميالا إلى النظر و الاستنباط قادرا على أن يعالج موضوعاً من الموضوعات أو حكماً من الأحكام و من الطبيعي أن يتجه منهج التعليم الدينى فى هذه المرحلة و جهة تناسب تلك الخصائص و تسايرها ، فالطفل هنا مستعد لإدراك قواعد الحياة ، و هو قادر أن يفقه النواحي الأخلاقية و آثارها فى المجتمع ، و يوازن بين الفضيلة و الرذيلة و ما يترتب على كل فى حياة الفرد و كيان الأمة ، و قد بلغ من النضج الذهنى حداً يمكنه من تصور المسؤولية و الجراً و الثواب و العقاب و المقاصد ، و هو عرضة فى مرحلة المراهقة و البلوغ لألوان من الشك تخامر نفسه ، و لا بد للتربية الدينية من أن تواجه تلك الشكوك ، و تساعد على تجليتها حتى تسلم للناشئ عقيدته و تثبت إيمانه .

و إذن فسيحتوى منهج التعليم الدينى هنا — مع التنوع الضرورى للبهين و البنات — سورا من القرآن تفسر و تناقش محتوياتها ، و أبواباً من الحديث تدرس و تطبق توجيهاتها فى أحوال الحياة و الاجتماع و نواحي من التشريع يكشف عن مراميها و أسرارها و ضرورها من العوائد و النظم تدرس فى ضوء الأصول و التوجيهات الدينية ، و مسائل من العقيدة تحلل و توضح صعوباتها و قرآيات فى التوحيد و الأخلاق و التصوف و سير العلماء و الصالحين و المأما بأهم فروع العلوم الدينية و ميادينها .

وينبغى الاتساع فى هذه المرحلة برغبة الطلاب فى المناقشة و المناظرة فتتخذ من حصص الدين فرص لدراسة الموضوعات الدينية التى يثيرها التلاميذ و يوجهون للقراءة حولها ، و المكتابة و المناظرة فيها مع الاستفادة من الأفلام التصويرية و من زيارة الآثار الإسلامية ، و أداء الجمع فى المساجد و الاحتفال بالمناسبات الدينية ، كمولد الرسول و هجرته ، و غزوة بدر و فتح مكة و تشجيع المسرح الإسلامى على عرض تمثيلات تغذى شعور الطلاب و تحبب إليهم القيم الروحية و تخصيص جانب من نشاط الإذاعة المدرسية لتناول بعض الموضوعات التى تصل بين الدين و الحياة .

و بما ينبغى التنبيه له أن الإسلام ليس مجرد عقائد و عبادات و معاملات ، ولكنه

عقيدة وشريعة وثقافة ونظام واجتماع . ولهذا يجب أن تتعاون فروع الدراسة المختلفة من دروس دين وأدب وتاريخ وفن وفلسفة واجتماع وغيرها على أن تبرز للطالب جمال تعاليم الإسلام وسعة آفاقه ، وجمعه بين المثالية والعملية وحضه على العلم والمعرفة وأخذه بأسباب القوة والتقدم وما إلى ذلك مما يجعل الدين ظاهرة حية لعقل الطالب ونفسه ، وعاملا فعالا في تنمية وجدانه وضميره .

والركن الأكبر في نجاح هذا المنهاج من التربية هو المعلم الذي ينبغي أن يعاد النظر في تكويبه وإعداده وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق عمق الثقافة وحرية الفكر وحسن التصرف ، والتهدى إلى إدراك الصلات بين تعاليم الدين ومعضلات الحياة .

ولعل إحدى الوسائل في هذا أن ينشأ في كليات تخريج المدرسين أقسام للدراسات الإسلامية يتخصص فيها الطلاب في الثقافة الدينية والتشريع والاجتماع وسيكولوجية الدين والأخلاق وتاريخ الحضارة الإسلامية .

